

المنعطف اللغوي؛ نحو مخارج لتأزم السؤال الفلسفي

Linguistic Turn; Towards exits to the crisis of the philosophical question

مزي عبد القادر ^{*} Mzi Abdelkader
جامعة طاهري محمد – بشار- الجزائر
فلسفة اللغة
abdelkader.mzi@univ-bechar.dz

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/11/26

تاريخ الإرسال: 2022/06/17

ملخص: يهدف هذا البحث إلى إبراز أهم رهانات التحول الذي استدعته ظروف ما يسمى بالمنعطف اللغوي تحت الغطاء الفكري للفلسفة الوضعية بكل تفرعاتها (الوضعية المنطقية، حلقة فيينا، الفلسفة التحليلية)، التي كانت تطمح إلى ما يمكن تسميته بالسلوك العلمي في الفلسفة ومن ثم إلى تحقيق لغة مثالية يمكنها مرافقة العلم من خلال عملية نقد اللغة. فهل تمثل الوضعية المنطقية نهاية لفلسفة الجواهر بمحاولتها تأسيس سلوك علمي للفلسفة؟ وإلى أي حد استطاعت تحقيق طموح العلماء المتمثل في لغة مثالية للعلم؟ لقد اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي النقدي تماشيا مع طبيعة الموضوع من جهة وللتحقق من الرهانات التي رافعت من أجلها الفلسفة الوضعية من جهة أخرى. النتيجة أن ثمة انتقال نوعي في الفكر الفلسفي (تدشين عصر جديد)، لكن تحت تراجع الطموح المثالي في محاربة الميتافيزيقا التي تتسرب إلى العلم عن طريق أساليب الفلسفة. الكلمات المفتاحية: الوضعية المنطقية؛ الفلسفة التحليلية؛ المنعطف اللغوي؛ مبدأ التحقق؛ تحليل اللغة.

Abstract:

This research aims to highlight the most important issues of the transformation called for by the circumstances of the so-called linguistic turn under the intellectual cover of positivism in all its branches (logical positivism, Vienna circle, Analytical philosophy), which aspired to what can be called scientific behavior in philosophy and then to achieve an ideal language It can accompany science through the process of language criticism. So does logical positivism represent the end of the philosophy of essences in its attempt to establish a scientific behavior for philosophy? And what extent was it able to achieve the ambition of scientists represented in an ideal language for science?

^{*} المؤلف المراسل: abdelkader.mzi@univ-bechar.dz

I relied in the research on the critical analytical method in line with the nature of the subject on the one hand, and to verify the stakes for which the positivist philosophy was raised on the other hand.

The result is that there is a qualitative transition in philosophical thought (the inauguration of a new era), but under the decline of the idealistic ambition to combat metaphysics that seeps into science through the methods of philosophy.

Keywords: Logical positivism; Analytical philosophy; Linguistic turn; Verification principle; Language analysis.

المقدمة:

مُنْذُ مُدَّةٍ تَبَيَّنَ أَنَّدِرَاسَةَ أَقْوَالِ الْفَلَّاسِفَةِ أَثْبَتَتْ قُصُورَهُمْ بِخُصُوصِ مُعَالَجَتِهِمْ لِلْمَعْنَى، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ بِالْإِمْكَانِ إِحْرَازَ الْمَزِيدِ مِنَ التَّقَدُّمِ فِي مَجَالَاتِ الْمَعْرِفَةِ الْمُخْتَلِفَةِ مَا دَامَتْ تَحْتَ طَائِلَةِ السُّطُورَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِالْمَعْنَى الْكَلَّاسِيكِي الَّتِي لَمْ تَتَحَرَّرْ مِنْ سُلْطَةِ التَّعَدُّدِ الْوُظَيْفِيِّ لِلُّغَةِ.

أَنْ تَتَحَلَّلَ الْفَلَّاسِفَةُ مِنْ مَبَاحِثِهَا التَّقْلِيدِيَّةِ الْكُبْرَى وَتَبْحَثَ عَنِ اسْتِمْرَارِ لَهَا فِي ظِلِّ التَّطَوُّرِ الرَّهِيْبِ لِسُؤَالِ الْمَعْرِفَةِ الَّذِي بَدَأَ بِشَكْلِ جَدِّي مَعَ فَلَاسِفَةِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، ذَلِكَ مَا شَكَلَ عِنْدَ الْبَعْضِ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ ارْتِدَادِ الْفَلَّاسِفَةِ أَوْ نُكُوصِهَا، أَوْ بِتَعْبِيرٍ أَكْثَرَ جَذَرِيَّةً نِهَايَةَ الْفَلَّاسِفَةِ وَعَدَمُ جَدْوَى التَّفَلُّسُفِ.

لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الْفَلَّاسِفَةَ الْقَارِيَّةَ الَّتِي انَّسَمَتْ بِالطَّابَعِ الْإِبِسْتِمُولُوجِي عُمُومًا وَأَعْلَنْتَ عِدَائِيَّتَهَا لِلْفَلَّاسِفَةِ ذَاتِ الطَّابَعِ الْمِيتَافِيزِيكِي، قَدْ دَسَّنتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فُتُوحَاتٍ جَدِيدَةً لِلْفَلَّاسِفَةِ، مُحَوَّلَةً بِذَلِكَ مَوْضُوعَاتِ الْهَامِشِ إِلَى الْمَرْكَزِ. مِمَّا يَعْنِي إِمْكَانِيَّةَ الرِّهَانِ عَلَى اسْتِمْرَارِ النَّشَاطِ الْفَلَسْفِيِّ فِي مَوْضُوعَاتٍ وَأَسْئَلَةٍ الْمَعْرِفَةِ.

الإشكالية:

هَلْ تُمَثِّلُ الْوُضْعِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ نِهَايَةَ لِفَلَّاسِفَةِ الْجَوَاهِرِ بِمُحَاوَلَتِهَا تَأْسِيسَ سُلُوكٍ عَلِيٍّ لِلْفَلَّاسِفَةِ؟ وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ اسْتَطَاعَتْ تَحْقِيقَ طُمُوحِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَمَثِّلِ فِي لُغَةٍ مِثَالِيَّةٍ لِلْعِلْمِ؟

العرض:

1. الْمُنْعَطَفُ اللُّغَوِيُّ:

الْمُنْعَطَفُ اللُّغَوِيُّ تَعْبِيرٌ وَظَفُهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ الْفِيلَسُوفُ الْأَمْرِيكِيُّ 'غُوسْتَاَفَ بِيرْغْمَانْ' (1906.1987) (Gustav Bergmann) عَامَ 1953، أَحَدُ رُؤَادِ 'حَلَقَةِ فِينَا'، فِي إِشَارَةِ مِنْهُ

إلى مُمَارَسَةِ الفَلَسَفَةِ عَلَى طَرِيقَةِ 'لُودَفِيغ فِتْغَنْشْتَاين' (1889. 1951) (Ludwig Josef Johann Wittgenstein)، حَيْثُ نَصَّ عَلَى ضَرُورَةِ التَّحْلِيلِ الفَلَسَفِيِّ لِللُّغَةِ قَصْدُ التَّوْضِيحِ الفَلَسَفِيِّ لِلْفِكْرِ، أَوْ تَجَنُّبًا لِمَا اعْتَبَرَهُ 'رَاسِل' إِمْكَانِيَّةَ حُدُوثِ "مُشْكِلَاتٍ عَدِيدَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَّصِلَةٍ بِالْأَوْصَافِ الغَامِضَةِ". (راسل، ب، 2016، 58). أَيْ أَنَّ "كُلَّ حُكْمٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَهُ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّفَ بِكَامِلِهِ مِنْ أَجْزَاءٍ نَعْرِفُهَا عَيَانِيًّا". (راسل، ب، 2016، 63).

لَقَدْ مَثَّلَ كِتَابُ 'فِتْغَنْشْتَاين' الشَّهِير (Tractatus logico-philosophicus) (مُقَدِّمَةٌ مَنْطِقِيَّةٌ فِلْسَافِيَّةٌ) تَدْشِينًا لِمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ فِي تَارِيخِ الفَلَسَفَةِ سَوَاءً بِالنِّسْبَةِ لِلْمَنْهَجِ أَوْ لِلْمَوْضُوعِ، حَيْثُ أَكَّدَ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الفَلَسَفَةِ يَجِبُ أَنْ يَنْصَبَّ عَلَى تَحْلِيلِ اللُّغَةِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ (مَدِينٌ لِأَعْمَالِ 'فَرِيحِهِ' الْعَظِيمَةِ وَكِتَابَاتِ 'بِرْتِرَانْد رَاسِل' الَّتِي أَثَّرَتْ عَلَى الكَثِيرِ مِنْ أَفْكَارِهِ) (Wittgenstein, L, 2002, 04). فَالْعَمَلُ الفَلَسَفِيُّ يَجِبُ أَنْ يَتَكَوَّنَ بِشَكْلِ أُسَاسِيٍّ مِنَ التَّوْضِيحَاتِ. (Wittgenstein, L, 2002, 30).

إِنَّ اللُّغَةَ بِمَا هِيَ نِظَامٌ مِنَ العَلَامَاتِ تَكْمُنُ قِيَمَتُهَا وَأَهْمِيَّتُهَا فِي تَوْفِيرِ النَّمُودَجِ، تَمَامًا كَمَا هُوَ السَّانُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَنْطِقِ وَالرِّتَاضِيَّاتِ، تِلْكَ الْأَنْظِمَةُ الْعَلَامَاتِيَّةُ الَّتِي تُوفِّرُهَا اللُّغَةُ تُشَكِّلُ قَوَالِبَ لِإِنْشَاءِ الْجُمْلِ أَوْ الْقَضَايَا مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّةِ إِسْنَادِ الْمُفْرَدَاتِ إِلَى بَعْضِهَا مُشْكَلَةً بِالتَّالِي صَبَّغَ الْأَحْكَامِ. فَيَنْظَامُ الْإِتِّصَالِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ تَمَامًا الْأَلْعَابِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَحْتَكِمُ إِلَى قَوَانِينِ تَضْبِطٍ أَنْظِمَتَهَا وَبَنِيَانُهَا الدَّاخِلِيَّةِ. وَعَلَيْهِ فَ"حُدُودُ لُغَتِي تَعْنِي حُدُودَ عَالِيِي". (Wittgenstein, L, 2002, 68).

إِذَا كَانَ ثَمَّةٌ مِنْ دَوْرٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَلْعَبَهُ الفَلَسَفَةُ، فَإِنَّ "الطَّرِيقَةَ الصَّحِيحَةَ فِي الفَلَسَفَةِ سَتَكُونُ حَقًّا كَالَاتِي: عَدَمُ قَوْلِ أَيِّ شَيْءٍ بِاسْتِثْنَاءِ مَا يُمَكِّنُ قَوْلَهُ، أَيْ افْتِرَاضَاتُ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ". (Wittgenstein, L, 2002, 89). وَهُوَ مَا يَعْنِيهِ بِقَوْلِهِ: "العَالَمُ هُوَ عَالِيِي: هَذَا وَاضِحٌ فِي حَقِيقَةٍ أَنَّ حُدُودَ اللُّغَةِ (تِلْكَ اللُّغَةُ الَّتِي أَفْهَمُهَا بِمُفْرَدِي) تَعْنِي حُدُودَ عَالِيِي". (Wittgenstein, L, 2002, 68). فَعَادَةً نَحْنُ نَجِدُ التَّأْثِيرَاتِ لِعَدَمِ وَقُوفِنَا عَلَى دَلَالَةِ وَمَعْنَايِ بَعْضِ "الكَلِمَاتِ طَوِيلًا حَتَّى تَفْرِضَها عَلَيْنَا دِرَاسَةُ الفَلَسَفَةِ وَتَحْمِلُنَا عَلَى تَمْحِيطِهَا". (راسل، ب، 2016، 102). وَالكَلِمَةُ الْمُفْرَدَةُ هِيَ الدَّرَجَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْخِطَابِ، وَتُسْتَخْدَمُ الْكَلِمَاتُ الْمُفْرَدَةُ لِلإِشَارَةِ لِلْوُجُودِ الْمُخْسُوسِ لِمَا تُمَيِّزُهُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ. خِلَالَ هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْخِطَابِ تَكْتَسِبُ كَلِمَاتُ الْأَشْيَاءِ مَعْنَاهَا، وَفِي هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الْخِطَابِ تَكُونُ كُلُّ كَلِمَةٍ تَأْكِيدًا". (راسل، ب، 2005، 29).

لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمَنَاطِقَةُ "يَفْتَرِضُونَ مُسَبِّحًا أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَهَا مَعْنَى وَأَنَّ لِلْقَضَايَا الْأَوَّلِيَّةِ مَعْنَى؛ وَهَذَا هُوَ ارْتِبَاطُهُم بِالْعَالَمِ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ شَيْئًا مَا عَنِ الْعَالَمِ يَجِبُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ حَقِيقَةٍ أَنَّ مَجْمُوعَةً مُعَيَّنَةً مِنَ الرُّمُوزِ -التي يَنْطَوِي جَوْهَرُهَا عَلَى امْتِلَاكِ شَخْصِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ- هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ حَشْوٍ. هَذَا يَخْتَوِي عَلَى النُّقْطَةِ الْحَاسِمَةِ. قُلْنَا إِنْ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ تَعَسَّفِيَّةٌ فِي الرُّمُوزِ الَّتِي نَسْتَخْدِمُهَا وَأَنَّ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ." (Wittgenstein, L, 2002, 76)، فـ"المنطق لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِمَسْأَلَةِ مَا إِذَا كَانَ عَالَمُنَا حَقًّا عَلَى هَذَا النُّحْوِ أَمْ لَا." (Wittgenstein, L, 2002, 76). وَعَلَيْهِ فـ"المعنى الَّذِي نُفَرِّقُهُ بِالْكَلِمَاتِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا نَكُونُ عَلَى مَعْرِفَةٍ عَيَانِيَّةٍ بِهِ." (راسل، ب، 2016، 64).

كَمَا أَنَّ الْمَفْهُومَ الْحَدِيثَ لِلْعَالَمِ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى "وَهُمِ أَنَّ مَا يُسَمَّى بِقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ هِيَ تَفْسِيرَاتٌ لِلظَّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَهَكَذَا يَتَوَقَّفُ النَّاسُ الْيَوْمَ عِنْدَ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ، وَيُعَامِلُونَهَا عَلَى أَنَّهَا شَيْءٌ لَا يُمَكِّنُ انْتِهَاكُهَا، تَمَامًا كَمَا عُوْمِلَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ فِي الْعُصُورِ الْمَاضِيَّةِ." (Wittgenstein, L, 2002, 85). وَبِالْمِثْلِ، فَإِنَّ إِمْكَانِيَّةَ وَصْفِ الْعَالَمِ "بِوَاسِطَةِ مِيكَانِيكََا نِيُوتْنِ لَا تُخْبِرُنَا شَيْئًا عَنِ الْعَالَمِ: وَلَكِنْ مَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ عَنْهُ هُوَ الطَّرِيقَةُ الدَّقِيقَةُ الَّتِي يُمَكِّنُ مِنْ خِلَالِهَا وَصْفُهُ بِهِذِهِ الْوَسَائِلِ. يُقَالُ لَنَا أَيْضًا شَيْئًا عَنِ الْعَالَمِ مِنْ خِلَالِ حَقِيقَةٍ أَنَّهُ يُمَكِّنُ وَصْفُهُ بِبَسَاطَةٍ بِاسْتِخْدَامِ نِظَامٍ مِيكَانِيكِي أَكْثَرَ مِنْ نِظَامٍ آخَرِ." (Wittgenstein, L, 2002, 82).

لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْفَلَسَفَةُ تَهْدِفُ إِلَى "ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الَّذِي يَكْسِبُ مَجْمُوعَةَ الْعُلُومِ وَخِدَةً وَنَسَقًا، ذَلِكَ النَّوعِ الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّمْجِيسِ الدَّقِيقِ وَالنَّقْدِ الْمَتِينِ لِلْقَوَاعِيدِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا آرَاؤُنَا وَأَحْكَامُنَا وَمُعْتَقَدَاتُنَا." (راسل، ب، 2016، 164). وَلَقَدْ "كَانَ فَتَعْنِشَتَايْنِ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعِلَاقَةَ الْوَثِيقَةَ بَيْنَ مَنْطِقِ الْعِلْمِ (أَوِ الْفَلَسَفَةِ كَمَا يُسَمَّيْهَا) وَالنَّحْوِ (..) عِلَاقَةً عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ أَظْهَرَ أَنَّ مَا يُسَمَّى بِجُمْلِ الْمِيْتَاْفِيزِيْقَا وَالْأَخْلَاقِ هِيَ جُمْلٌ زَائِفَةٌ. بِالنِّسْبَةِ لَهُ، فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ هِيَ 'نَقْدُ اللُّغَةِ'، وَعَمَلُهَا هُوَ التَّوْضِيْحُ الْمَنْطِقِيُّ لِلْأَفْكَارِ وَجُمْلٍ وَمَقَاهِيْمِ الْعُلُومِ (الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ)، أَيْ فِي مُصْطَلَحَاتِنَا، مَنْطِقُ الْعِلْمِ." (CARNAP, R, 2001, 282). هَكَذَا تَعْدُو الْفَلَسَفَةُ وَهِيَ "تُعَالِجُ مَسْأَلَةً مِنَ الْمَسَائِلِ وَكَأَنَّهَا تُعَالِجُ مَرَضًا." (فتعنشتاين، ل، 2007، 264)، وَيُقْصَدُ بِالْمَرَضِ هُنَا، فَسَادُ الْإِدْرَاكِ، الَّذِي يَتَطَلَّبُ مِنَ الْفَلَسَفَةِ مُعَالَجَتَهُ حَتَّى يَرَقَى إِلَى خَالَةِ 'الْإِدْرَاكِ السَّلِيمِ'.

كَانَ هَذَا التَّوَجُّهُ الْجَدِيدُ نَحْوَ اللُّغَةِ بِمَثَابَةِ لَحْظَةٍ انْعِطَافٍ لِلْفِكْرِ الْفَلَسْفِيِّ، انْعِطَافٌ فِلَسْفِيٌّ اتِّجَاهَ اللُّغَةِ، لِتُصْبِحَ "الْفَلَسَفَةُ هِيَ مُقَاوِمَةٌ فِتْنَةٍ تَفْكِيرِنَا بِوَاسِطَةِ لُغَتِنَا."

(فتغنشتاين، ل، 2007، 195). وَعَلَيْهِ "يَتَمَثَّلُ حَاصِلُ الْفَلَسَفَةِ فِي اكْتِشَافِ بَعْضِ السَّخَافَاتِ (Unsinns) الْبَسِيطَةِ وَالتَّوَرُّمَاتِ الَّتِي أَصَابَتْ الْفِكْرَ مِنْ جَرَاءِ اصْطِدَامِ رَأْسِهِ بِخُدُودِ اللُّغَةِ. هَذِهِ التَّوَرُّمَاتُ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُنَا نُدْرِكُ قِيَمَةَ الْاِكْتِشَافِ". (فتغنشتاين، ل، 2007، 197، 198)، وَلَكِنْ هَذَا مَشْرُوطٌ بِأَنْ "لَا يُمَكِّنُ لِلْفَلَسَفَةِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ تَتَدَخَّلَ فِي الِاسْتِعْمَالِ الْحَقِيقِيِّ لِلُّغَةِ، بَلْ لَا يَسَعُهَا فِي آخِرِ الْمَطَافِ إِلَّا أَنْ تَصِفَهُ فَقَطْ". (فتغنشتاين، ل، 2007، 200).

لَقَدْ تَرَامَنَ هَذَا التَّوَجُّهُ الْفَلَسَفِيُّ مَعَ تَطَوُّرِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْإِنْسَانِي، حَيْثُ ظَهَرَ كِتَابُ 'دي سوسير' Ferdinand de Saussure 'دُرُوسٌ فِي الْأَلْسِنِيَّةِ الْعَامَّةِ' عام 1916 Cours de linguistique générale. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَعْمَالِ 'حَلَقَةِ بَرَاغُ' cercle linguistique de Prague بِرِئَاسَةِ 'رُومَانِ جَاكُوبْسُون' Roman Jakobson وَكَذَا 'الْوُظَيْفِيَّةُ' fonctionnalisme عِنْدَ 'أَنْدْرِيه مَارْتِينيه' Martinet. وَهِيَ تَيَّارَاتٌ تَطَوَّرَتْ مَعَهَا مَفَاهِيمٌ لِدِرَاسَةِ اللُّغَةِ بِاعْتِبَارِهَا غَرَضًا لِأَجْلِ ذَاتِهِ. وَكَذَا أَعْمَالُ 'بِيرْس' الَّذِي نَظَرَ إِلَى "الْمَنْطِقِ بِأَنَّهُ التَّعَالِيمُ الْخَاصَّةُ بِالشَّرُوطِ الصُّورِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِصِدْقِ الرُّمُوزِ، أَيْ بِإِحَالَةِ الرُّمُوزِ إِلَى مَوْضُوعَاتِهَا". (أودغن ورتشاردز، 2015، 416). وَبِالتَّالِي نَشَأَةُ عِلْمِ الدَّلَالَةِ أَوْ السِّيْمَنْطِيْقَا بِتَدَاخُلِ ثَلَاثَةِ عُلُومٍ مُتَمَايِزَةٍ هِيَ: عِلْمُ النَّفْسِ - الْمَنْطِقِ - الْأَلْسِنِيَّةِ.

لَمَّا كَانَتْ الْمَرْحَلَةُ هِيَ مَرْحَلَةُ النَّجَاحَاتِ الَّتِي حَقَّقَهَا الْعِلْمُ بِالْمَعْنَى الْوَضْعِي فَإِنَّ الْاِنْعِطَافَ نَحْوَ اللُّغَةِ كَانَ لِنَاقِظَةٍ تَتَجَاوَزُ اللُّغَةَ فِي ذَاتِهَا وَلِأَجْلِ ذَاتِهَا، بَلْ لِنَاقِظَةٍ يَتَطَلَّبُهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، وَ"هِيَ الْقُدْرَةُ الْمُنْبَعِثَةُ مِنَ التَّفْسِيرِ الْعِلْمِيِّ". (ريشنباخ، ه، 2020، 26). أَيْ لِنَاقِظَةٍ عَتَبَةِ التَّنَاقُضِ حَيْثُ "الْفِيلَسُوفُ يَتَحَدَّثُ لُغَةً غَيْرَ عِلْمِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يُحَاوِلُ الْإِجَابَةَ عَنِ الْأَسْئَلَةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعُوزُهُ فِيهِ الْإِجَابَةُ الْعِلْمِيَّةُ". (ريشنباخ، ه، 2020، 38). وَهُوَ يَقَاشُ تَطَوُّرَ بِشَكْلِ أَسَاسٍ خِلَالَ لِقَاءَاتِ رُؤَادِ الْوَضْعِيَّةِ الْمَنْطِقِيَّةِ وَجَمَاعَةِ 'حَلَقَةِ فِينَا' بِالْأَخْصِ.

2. الْوَضْعِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ: مَعْيَارُ الصِّدْقِ وَالْمَعْنَى (Sinnkriterium):

لَا يُمَكِّنُ الْحَدِيثُ عَنِ الْوَضْعِيَّةِ كَتَيَّارٍ عَامٍ فِي الْفَلَسَفَةِ دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى 'أَوْغِسْت كُونت' (1798 - 1857)، بِاعْتِبَارِهِ الْمُسَسَّسَ الْحَقِيقِي لِلْفَلَسَفَةِ الْوَضْعِيَّةِ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ عَشَرَ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ ضَرُورَةِ اعْتِمَادِ مَنْهَجِ الْوَصْفِ وَالتَّفْسِيرِ، وَقَدْ "اعْتَرَفَ أَوْغِسْت كُونت فِي مَثْنِ آرَائِهِ الَّتِي أَوْدَعَهَا مُؤَلَّفَهُ (دُرُوسٌ فِي الْفَلَسَفَةِ الْوَضْعِيَّةِ) أَنَّ أَيَّ نَظَرِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ

تَدْعِي أَنَّ بِإِمْكَانِهَا مَعْرِفَةَ حَقِيقَةِ الظَّاهِرَةِ تُصْبِحُ قَوْلًا مِيتَافِيزِيْقِيًّا يَنْبَغِي رَفْضُهُ تَمَامًا، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يَبْحَثُ فِي مَاهِيَةِ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْوُقُوفِ عِنْدَ حَدِّ الْوَصْفِ الْخَارِجِيِّ لِلظَّاهِرَةِ. فَمَا يَهُمُّ الْعَالِمَ حَقِيقَةُ هُوَ كَيْفِيَّةُ حُدُوثِ الظَّاهِرَةِ. (ماهر، ع، 1994، 65)، أَيْ الْاِكْتِفَاءُ "بِالتَّفْسِيرِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ الْوَصْفِ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْوَصْفَ يَنْصُبُّ عَلَى مُعْطَيَاتِ الْخَبَرَةِ، وَهَذَا الْوَصْفُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِي أَقَلِّ عَدَدٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الْعَلَاَقَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ وَالْمُطَرَّدَةِ." (ماهر، ع، 1994، 65).

اسْتِطَاعَتِ الْمَعْرِفَةِ الْعِلْمِيَّةِ التَّحَرُّزُ مِنْ قَبْضَةِ الْفَلَسَفَةِ بِالْمَعْنَى الْكَلَّاسِيكِي، لَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى فِلْسَفَةٍ عِلْمِيَّةٍ. لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ "فِيزِيَاءُ أَرِسْطُو هِي مِنَ الْفِلْسَفَةِ، فَإِنَّ الْفِيزِيَاءَ الْحَدِيثَةَ عِلْمٌ وَضْعِيٌّ يَفْتَرِضُ وُجُودَ الْفِلْسَفَةِ." (هايدغر، م، 70). فِلْسَفَةُ عِلْمِيَّةٌ تَجْمَعُ رُكَّامَ مَبَاحِثَ وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةٍ، تَفْرَضُهَا الْحَاجَةُ الْمَاسَّةُ إِلَى "الْمُطَالَبَةِ بِلُغَةٍ عِلْمٍ مُوَحَّدَةٍ ضَرُورَةً أَسَاسِيَّةً لِكُلِّ أَنْصَارِ الْوَضْعِيَّةِ الرَّادِيكَالِيَّةِ، وَهُوَ مَطْلَبٌ يَطْهَرُ أحيانًا تَحْتَ مُسَمَّى الْعِلْمِ الْمُوَحَّدِ أَوْ اللُّغَةِ الْفِيزِيَائِيَّةِ (Physicalism)" (فرانك، ف، 2010، 95). وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَعْرَبَ "لِيَبْنِزَ عَنِ الرَّأْيِ الْقَائِلِ أَنَّ الْمُنْطِقَ الرَّمْزِيَّ لَوْ أَحْرَزَ تَقْدُّمًا كَافِيًا، لَزَالَتْ الْخِلَافَاتُ الْعِلْمِيَّةُ؛ إِذْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَجَادَلُوا، سَيَقُولُونَ: فَلْنَحْسِبْهَا (calculamus)". (ريشباخ، ه، 2020، 201). هَذَا يَعْنِي أَنَّ "التَّجْرِبِيَّةَ التَّحْلِيلِيَّةَ الْحَدِيثَةَ (..) تَخْتَلِفُ عَنِ تَجْرِبِيَّةِ 'لُوك' وَ'بَارِكْلِي' وَ'هِيُوم' بِإِدْمَاجِهَا لِلرِّيَاضِيَّاتِ وَتَطْوِيرِهَا لِفَنِّ مَنْطِقِيٍّ قَوِيٍّ." (راسل، ب، 1977، 497).

إِنَّ ضَرُورَةَ هَذَا الْمَطْلَبِ تَأْتِي لِتَجَنُّبِ التَّفْسِيرَاتِ الْخَاطِئَةِ وَالْغَامِضَةِ وَذَلِكَ "بِالِاسْتِخْدَامِ الْمُنْسَقِ لِلِلُّغَةِ الْفِيزِيَائِيَّةِ" الَّتِي اقْتَرَحَهَا نُورَاثُ وَكَارْنَابُ كُلُّغَةِ كُونِيَّةٍ لِلْعِلْمِ. وَكَمَا هُوَ مَفْهُومٌ مِنْ قَوَاعِدِ النَّحْوِ الْمُنْطِقِيِّ (Logical syntax) فَإِنَّ مَصْدَرَ أَخْطَاءِ التَّفْسِيرِ هَذِهِ هُوَ دَائِمًا اسْتِخْدَامُ الْأُسْلُوبِ الْمَادِّي فِي الْكَلَامِ. (فرانك، ف، 2010، 110). فَلَطَمًا كَانَتْ "اللُّغَةُ مَتَاهَةً مِنَ الطَّرِيقِ الْمُتَشَعِّبَةِ." (فتغنشتاين، ل، 2007، 248).

ثُمَّ إِذْنِ حَاجَةٍ إِلَى الدِّقَّةِ التَّامَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُنَا عَلَى تَجَاوُزِ وَإِزَالَةِ سُوءِ الْفَهْمِ الْحَاصِلِ فِي خِطَابَاتِ الْعِلْمِ، لِذَلِكَ يَبْدُو مِنْ جِهَةٍ أَنَّ الْمَبْحَثَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لُغَوِيًّا بِالْأَسَاسِ، لِأَنَّ الْبَحْثَ هُنَا لَا يَسْتَهْدِفُ الظُّوَاهِرَ وَإِنَّمَا "صَيِّغَ الْأَقْوَالِ الَّتِي نَنْطِقُ بِهَا حَوْلَ الظُّوَاهِرِ." (فتغنشتاين، ل، 2007، 188). وَ"يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَ هَذِهِ الْعَمَلِيَّةَ 'تَحْلِيلًا' لِأَشْكَالِ الْعِبَارَاتِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْإِجْرَاءَ يُشَبِّهُ أحيانًا نَوْعًا مِنَ التَّفْكِكِ." (فتغنشتاين، ل، 2007، 188). أَمَّا مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ فَالْغَايَةُ الْهَيَاسِيَّةُ لَيْسَتْ فَهْمَ جَوْهَرِ اللُّغَةِ وَقَوَائِنِهَا التَّطْبِيقِيَّةِ،

مَعَ اعْتِبَارِ أَنَّ "الجَوْهَرَ مَحْجُوبٌ عَنْ أَعْيُنِنَا." (فتغنشتاين، ل، 2007، 189)، بَلِ الْغَايَةُ فِي جَوْهَرِ الْقَضِيَّةِ وَالْوَاقِعِ (الْكُونِ).

هَذِهِ الْفَلَسَفَةُ يَجِبُ عَلَمُهَا أَنْ تَكْتَفِي "بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ نُصَبُ أَعْيُنِنَا وَلَكِنَّهَا لَا تُفَسِّرُ وَلَا تَسْتَنْجِي شَيْئًا. وَبِمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ وَاضِحٍ أَمَامَ أَعْيُنِنَا فَلَا وَجُودَ لِأَيِّ شَيْءٍ يَسْتَوْجِبُ التَّفْسِيرَ، لِأَنَّ مَا هُوَ كَامِنٌ، مَثَلًا، لَا يَهْمُنَا." (فتغنشتاين، ل، 2007، 201)، هَذَا يَعْنِي أَنَّ مَهْمَةَ الْفَلَسَفَةِ هِيَ التَّوْضِيحُ؛ مُجَرَّدَ التَّوْضِيحِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَطْلُوبًا مِنْهَا أَيُّ اكْتِشَافَاتٍ أَوْ اخْتِرَاعَاتٍ جَدِيدَةٍ وَلَا تَأْمَلَاتٍ مِيتافيزيقِيَّةٍ لِكَشْفِ كُنْهِ جَوَاهِرِ الْأَشْيَاءِ وَالْمَوْجُودَاتِ. فَعَلَى النَّاسِ أَنْ يُدْرِكُوا ضَرُورَةَ وَجُودِ مِثْلِ هَذِهِ الْفَلَسَفَةِ الْعِلْمِيَّةِ، فِلْسَفَةُ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ عُهُودِ الْفَلَسَفَةِ التَّأْمِلِيَّةِ، وَذَلِكَ بِغَرَضٍ تَجَاوَزَ أَخْطَاءَ الْفَلَسَفَةِ التَّأْمِلِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ، حِينَ طَرَحَ الْفَلَسَفَةُ "أَسْئَلَةً لِمَيِّتَمَكَّنُوا مِنَ الْإِجَابَةِ عَنْهَا؛ وَلِذَا فَلَيْسَ مِنَ الْمُمَكِّنِ تَفْسِيرُ الْإِجَابَاتِ الَّتِي أَصْرُوا، رُغْمَ ذَلِكَ، عَلَى تَقْدِيمِهَا إِلَّا عَلَى أَسَاسِ دَوَافِعٍ نَفْسِيَّةٍ." (ريشنباخ، ه، 2020، 111). فَالْعِلْمُ الْيَوْمَ "بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ أَصْلِ الْكُونِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْأَلَ إِلَّا عَنْ سَبَبِ الْحَالَةِ الرَّاهِنَةِ لِلْكُونِ، وَمَهْمَتُهُ تَنْحَصِرُ فِي الرُّجُوعِ تَدْرِيجِيًّا بِالتَّارِيخِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ عَلَى أَسَاسِهِ أَنْ يَصِفَ الْكُونُ مِنْ خِلَالِ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ." (ريشنباخ، ه، 2020، 184).

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى كَانَ لَتَطَوُّرِ الدَّرْسِ الْمُنْطِقِيِّ دَوْرًا مِهْمًا فِي بَلُورَةِ مَسْعَى الْوَضْعِيَّةِ الْمُنْطِقِيَّةِ، إِذْ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ أَنَّ "نُقْطَةَ التَّحَوُّلِ فِي تَارِيخِ الْمُنْطِقِ هِيَ مُنْتَصَفُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشْرَةَ، عِنْدَمَا شَرَعَ رِيَاضِيُّونَ مِثْلُ بُول (Boole) وديمورجان (de Morgan) فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَبَادِي الْمُنْطِقِ بِلُغَةٍ زَمِيَّةٍ مِنْ نَوْعِ التَّدْوِينِ الرِّيَاضِيِّ، وَاسْتَمَرَّ بِنَاءُ الْمُنْطِقِ الرَّمَزِيِّ عَلَى أَيْدِي رِجَالٍ مِثْلَ بِيَانُو (G. Peano) وبيرس (C. S. Peirce) وشرودر (E. Schroeder) وفريجه (G. Frege) ورسل (B. Russell) الَّذِي نَبَدَأَ بِفَضْلِهِمْ نَوْعٌ جَدِيدٌ مِنَ الْفِيلَسُوفِ، هُوَ الْمُنْطِقِي الرِّيَاضِيِّ، يَدْخُلُ سَاحَةَ التَّارِيخِ." (ريشنباخ، ه، 2020، 193، 194).

أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ "فَقَدْ وَجَدَ الْمُنْطِقُ الرَّمَزِيُّ مَبْدَأًا هَامًا تُطَبَّقُ نَتَائِجُهُ عَلَيْهِ، هُوَ التَّحْلِيلُ النَّحْوِي لِللُّغَةِ. ذَلِكَ لِأَنَّ النَّحْوَ الَّذِي تَعَلَّمْنَاهُ فِي الْمَدَارِسِ قَدْ نَشَأَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْأَرْسُطَطَالِي، وَهُوَ لَا يَصْلُحُ لِلتَّعْبِيرِ بِدِقَّةٍ عَنْ تَرْكِيبِ اللُّغَةِ." (ريشنباخ، ه، 2020، 195). كَمَا أَصْبَحَتْ الرِّيَاضِيَّاتُ فِي جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْهَا، خَاصَّةً بِحُوثِ الْمُنْطِقِ الرَّمَزِيِّ عَلَى يَدِ 'بِرْتَرَانْدَرْسل' وَالْفَرْدِ نُوْرثوايْتِدْ (A. N. Whitehead) "فَرَعَ الِلْمُنْطِقِ وَجِهَتْ فِيهِ عِنَايَةً خَاصَّةً إِلَى التَّطْبِيقَاتِ الْكَمِّيَّةِ." (ريشنباخ، ه، 2020، 196). بَلِ إِنَّ الرِّيَاضِيَّاتِ فِي الْوَاقِعِ "مَحْضُ مَعْرِفَةٍ

لفظية". (راسل، ب، 1977، 494)، إذ أننا "لا نحصلُ علمًا بالاستقراء من الخبرة". (راسل، ب، 1977، 494)، كما أننا "ليست أيضًا معرفة أولية عن العالم". (راسل، ب، 1977، 494).

من ناحية أخرى "إذا كان المنطق تحليليًا، فإنه فارغ، أي أنه لا يُعبر عن خصائص الموضوعات الينزائية. (..) وأن ما نعرفه من الجملة ليس صفة للأشياء، وإنما هو قاعدة لغوية. فالمنطق يصوغ قواعد اللغة ولهذا كان المنطق تحليليًا وفارغًا". (ريشباخ، ه، 196، 2020). وعليه فإن "المشكلات الفلسفية هي في الواقع مشكلات في التراكيب اللغوية، وحين نتفادى أغلاط التركيب اللغوي، نحل المشكلات الفلسفية أو يتبين استعصاء حلها". (راسل، ب، 1977، 492)، فالفهم الفلسفي يظل رهن طبيعة الأسبقية اللغوية تعقيدًا وبساطة. كما تتسم المشكلات المعرفية التي تنشأ في الغالبين "خطأ في تأويل أشكالنا اللغوية بسمه العمق. إنها متزعة بالجزرة (Beurehigung)؛ وجذورها متأصلة فينا تمامًا مثل أشكال لغتنا". (فتغنشتاين، ل، 2007، 195).

لقد أصبحت مهمّة الفلسفة التحليلية تنحصر أساسًا في "تقدير مزايا الطرق المختلفة في الكلام عن الأمور التي تعترف بها جميع الأطراف". (راسل، ب، 1983، 199)، وذلك تماشيًا مع "الاتجاه العام إلى التوحيد في لغة العلم". (راسل، ب، 1983، 224). ذلك لأن "أحد أهم مصادر سوء فهمنا هو أنه ليست لدينا نظرة شمولية لاستعمالنا الألفاظ. إن نحونا تنقصه النظرة الشمولية. يجعل العرض الشمولي (übersichtliche Darstellung) الفهم ممكنًا، بحيث يجعلنا قادرين على رؤية العلاقات". (فتغنشتاين، ل، 2007، 199، 200). من ثم كانت الحاجة إلى اللغة الرمزية (لغة الرموز المنطقية)؛ حيث تُصيغ كل القضايا الخاصة بالمواضيع الأخرى قابله للاختزال والتحويل إلى قضايا تتضمن فقط الرموز المنطقية، وعليه فمن الواضح أن قيمة النسق البنائي تتوقف على أصالة هذا الاختزال، تمامًا كما أن قيمة العرض الأكسومي للنظرية تتوقف على نقاء اشتقاق المبرهنات من الأوليات". (كارناب، ر، 2011، 325). وهكذا فنسق البناء يجب أن لا يكون 'نقيًا' فقط (أي، خالٍ من مفاهيم غريبة ومتطفلة)، بل دقيقًا صوريًا أيضًا". (كارناب، ر، 2011، 326).

إن "أدوات النمذجة المعتادة في الفلسفة التحليلية والدلالات اللغوية هي مفاهيم نظرية المجموعات". (Godehard Link, 1998, 244)، فمن ناحية توجد "الأحداث ومن ناحية أخرى هناك المصطلحات اللغوية التي نستخدمها للإشارة إلى تلك الكيانات، أسماء

الْحَدَثِ". (Godehard Link, 1998, 294). ف"كل اسم موضوع يظهر في عبارة علمية يمكن من حيث المبدأ (إذا توفرت المعلومة الكافية) أن يستبدل بوصف بنيوي للموضوع، مع الإشارة إلى مجال الموضوع الذي يحيل عليه الوصف. إن هذا لا يسري فقط على أسماء المواضيع المفردة، بل كذلك على الأسماء العامة، من قبيل أسماء المفاهيم، والفئات والعلاقات". (كارناب، ر، 2011، 142)، وعليه فإن "كل عبارة علمية يمكن مبدئياً أن تحوّل بحيث تغدو مجرد عبارة بنيوية". (كارناب، ر، 2011، 142)، لأن كل شيء لا ينتهي إلى بنية "هو في نهاية التحليل، ذاتي". (كارناب، ر، 2011، 142).

وفق هذا المنظور يلاحظ أن كل مفاهيم العلم وبخاصة الفيزيائية منها قد تحولت إلى مفاهيم بنيوية خالصة. (كارناب، ر، 2011، 142)، وعليه فقد بات "من الضروري أن يقتصر العلم على عبارات البنية". (كارناب، ر، 2011، 143). ليس هذا فحسب، بل إذا كاتمنا البديهي أن لكل علم موضوع، فإن "الموضوع كشيء يمكن أن ننجز في صده عبارة". (كارناب، ر، 2011، 147). من هنا نخلص إلى الحاجة لتحويل "كل عبارات العلم، من حيث المبدأ، إلى عبارات البنية: بيد أن هذا التحويل ضروري أيضاً من حيث يجب على العلم أن يتقدم من الذاتي إلى الموضوعي: كل علم أصيل علم بنيوي". (كارناب، ر، 2011، 163).

لكن حاجة العلم إلى واقعية لغوية "غالباً ما تمتد عملياً إلى واقعية ميتافيزيقية: فتتجاوز بذلك حدود العلم". (كارناب، ر، 2011، 227)، وهو تجاوز لا يقبل لاسيما "عندما يؤثر في مضمون عبارات العلم". (كارناب، ر، 2011، 227)، الأمر الذي دفع بكارناب إلى التأكيد على حياد اللغة البنائية، تلك اللغة التي "تعبّر عن العلاقات المنطقية والمعرفية فقط". (كارناب، ر، 2011، 227).

يبدو أن اللغة أوجدت قبل أن يتعلم الناس فنون التفكير المعقد، مما يعني أن الفكر الأكثر تعقيداً يخضع لمنظومات لغوية بدائية جداً، وهو أمر يحز في نفس كل عالم بلا شك. إن العامة هم الذين أوجدوا اللغة التي توطر تفكير أذكي العلماء. لذلك سيكون "من المفيد جداً للعلوم العقلية أن تقيس لبعض الوقت جميع الألفاظ من أمثال الانطباعات، والأحاسيس، والنفس، والروح، وسائرهما، ولا يسمح لها بالعودة ثانية إلى حين خضوعها لتنقيّة شاملة". (أودغن ورتشاردز، 2015، 233). أمام هذا الطرح لم يبق للفلسفة من موضوع سوى المنطق بمعناه الموسع طبعاً.

نَحْنُ أَمَامَ شَرْعِيَّةِ الطُّمُوحِ نَحْوِ فِلْسَفَةِ عِلْمِيَّةٍ وَتَجْرِبِيَّةٍ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ سَائِرِ الْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ الْأُخْرَى، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ فِلْسَفَةً قَادِرَةً عَلَى ابْتِدَاعِ النُّظَرِيَّاتِ، الْفَرْضِيَّةِ حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَحِيحَةً تَمَامًا، فَسَوْفَ تَكُونُ مُثْمِرَةً بَعْدَ عَمَلِ التَّصَوُّبَاتِ الضَّرُورِيَّةِ." (راسل، ب، 2005، 116)، فَإِذَا كَانَتِ الْقَضَايَا الرِّيَاضِيَّةَ وَالْمُنْطَقِيَّةَ تَتَّصِفُ بِالْيَقِينِ الْمَطْلُوقِ وَبِالتَّالِي فِيهِ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّعْدِيلِ وَالْإِضَافَةِ، فَإِنَّ الْقَضَايَا الْجِسِّيَّةَ التَّجْرِبِيَّةَ هِيَ قَضَايَا احْتِمَالِيَّةٍ لِأَنَّهَا تُعَانِي مِنَ النِّقْصِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ الْوَصْفَ التَّجْرِبِي، بِدَا فِيهِ قَابِلَةٌ لِلتَّحَقُّقِ وَلَيْسَتْ مُتَحَقِّقَةً بِالْفِعْلِ.

إِنَّ الْوَضْعِيَّةَ الْمُنْطَقِيَّةَ تَنْجُهِ نَحْوِ اسْتِبْعَادِ الْمِيتَافِيزِيْقَا بِاعْتِبَارِ قَضَايَاهَا غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّحَقُّقِ لِأَنَّهَا لَا تُقَرَّرُ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَطَبِيعَةُ الْبَحْثِ الْمِيتَافِيزِيْقِي مُتَعَالِيَّةٌ عَلَى كُلِّ بَحْثٍ حِسِّيٍّ تَجْرِبِيٍّ. فَالْمِيتَافِيزِيْقَا بِهَذَا الْمَعْنَى هِيَ نِظَامٌ مِنَ الْعَلَامَاتِ فَارِعٌ وَمُشْكِلَاتُهَا "مُشْكِلَاتٌ زَائِفَةٌ، وَالْحُلُولُ الَّتِي تَقْتَرِحُهَا لِهَذِهِ الْمَشْكِلَاتِ غَيْرُ مُمَكِّنَةٍ الصِّدْقِ أَوْ الْكُذِبِ وَمِنْ ثَمَّ فِيهَا بِلَا قِيَمَةٍ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ." (نفادي، س، 1991، 25)، هَذَا مَا يَجْعَلُ الْمَعْرِفَةَ الْعِلْمِيَّةَ تَدْرُسُ مَا هُوَ مَوْجُودٌ فَقَطْ، وَقَضَايَا الْعِلْمِ هِيَ قَضَايَا قَابِلَةٌ لِلتَّحَقُّقِ.

3. حلقة فيينا (Wiener Kreis):

لَقَدْ تَبَلَّوْرَتِ جُهُودُ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَفْضَتِ إِلَى بُرُوزِ مَنَحَى فِلْسَفِيٍّ جَدِيدٍ اتَّخَذَ مِنَ اللُّغَةِ الْمَوْضُوعَ الْمَرْكَزِيَّ لِلْفِلْسَفَةِ، فَشَاعَ الرَّأْيُ الْقَائِلُ بِأَنَّ "الْفِلْسَفَةَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ سِوَى تَحْلِيلِ مَنْطِقِيٍّ لِلْمَفَاهِيمِ وَالْجُمَلِ الْعِلْمِيَّةِ (بِعِبَارَةِ أُخْرَى، مَا نُسَمِّيهِ مَنْطِقِ الْعِلْمِ)." (CARNAP, R, 2001, 280)، وَهُوَ اتِّجَاهٌ يُمَثِّلُهُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ 'فِتْنِغْنِسْتَايْن' وَمَجْمُوعَةُ 'حلقة فيينا'. مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مَا سُمِّيَ بِمَنْطِقِ الْعِلْمِ يَجِبُ فَهْمُهُ بِاعْتِبَارِهِ "مَجَالٌ جَمِيعُ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي يَتِمُّ تَحْدِيدُهَا عَادَةً عَلَى أَنَّهَا مَنْطِقٌ نَقِيٌّ وَتَطْبِيقِيٌّ، كَتَحْلِيلِ مَنْطِقِيٍّ لِلْعُلُومِ الْخَاصَّةِ أَوْ لِلْعِلْمِ كَكُلِّ، مِثْلَ نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ." (CARNAP, R, 2001, 280). وَهُوَ تَحْلِيلٌ يَرْتَكِزُ بِالْأَسَاسِ عَلَى تَحْلِيلِ جُمَلِ مَنْطِقِ الْعِلْمِ الَّتِي "هِيَ جُمَلٌ مَنْطَقِيَّةٌ. وَهَذَا يَعْنِي جُمَلٌ حَوْلَ اللُّغَةِ وَالتَّعْبِيرَاتِ اللُّغَوِيَّةِ." (CARNAP, R, 2001, 315).

أَعْلَنَ هَذَا التِّيَّارُ عَنْ تَوَجُّهَاتِهِ مِنْ خِلَالِ مَجَلَّةِ (La conception scientifique du monde) وَمَجَلَّةِ 'المعرفة' (Erkenntnis). فِي مَقَالِهِمَا الْمُشْتَرَكِ، إِذْ يُقَالُ أَنَّ "بلومبرغ (Blumberg) وفايغل (Feigl)، هُمَا اللَّذَانِ أَطْلَقَا عَامَ 1931 تَسْمِيَةَ 'الْوَضْعِيَّةِ الْمُنْطَقِيَّةِ' عَلَى كُلِّ الْأَفْكَارِ الْفِلْسَفِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِهَا دَائِرَةُ فِيِينَا." (لشهب، ح، 2019، 62).

بعد تحقيق شرط استبعاد الميتافيزيقا في النقاشات العلمية سيصبح كل ما يُسعى بالمسكلات "المتعلقة بالفيزياء" (طالما أنها ليست مسألة مشاكل ميتافيزيقية زائفة) هي في جزء منها أسئلة تجريبية، ينتهي معظمها إلى علم النفس، وفي جزء منها أسئلة منطقية تنتهي إلى النحو. (CARNAP, 2001, 315, R)، أي إلى الجمل النحوية التي "هي في جزء منها جمل حسابية، وجمل جزئية من الفيزياء، ولا يطبق عليها إلا النحوية لأنها معنية بالتركيبات اللغوية، أو بشكل أكثر تحديداً بنيتها الشكلية. النحو الصافي والوصفي، ليس أكثر من رياضيات وفيزياء اللغة." (CARNAP, R, 2001, p. 284)، فالمسألة الأساسية بالتالي تتوقف على تحليل اللغة، وهو مشروع اكتمل بوضوح من خلال مساهمات رواد الفلسفة التحليلية، التي يمكن اعتبارها وجهه نظراً كفيلاً بأن "تقضي على جميع الأسئلة الميتافيزيقية بلا مبالاة، سواء كانت تُعتبر غير قابلة للحل فقط في الوقت الحالي، أو ما إذا كانت تُعتبر بلا معنى في كل الأوقات." (MACH, E, 1914, 369).

4. الفلسفة التحليلية (philosophie analytique):

الفلسفة التحليلية حركة فلسفية تأسست من خلال تطور الأبحاث المنطقية على يد كل من 'غوتلوب فريجه' (Gottlob Frege) و'برتراند راسل' (Bertrand Russell) نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تلك الأبحاث التي ارتكزت في بدايتها على التحليل المنطقي للغة بغية إرساء قاعدة البدهة والوضوح في التفكير الذي يُعتبر هدف الفلسفة بتعبير 'رودولف كرناب' (Rudolf Carnap). بهذا أصبح كلاً من المنطقي وفلسفة اللغة وفلسفة العلوم مواضع لميدان واحد بالنسبة لهذه الفلسفة الجديدة التي انتشرت في بريطانيا وأمريكا بفعل ظروف متعددة.

بعد المضايقات التي تعرض لها أعضاء مجموعة 'حلقة فيينا' وبعد حصر 'عصبة المفكرين الأحرار' عام 1933، مثلت بريطانيا وأمريكا ملاذاً أغلبهم، لهذا انتشرت أفكار الفلسفة التحليلية في إنجلترا خاصة، بتأثير واضح من 'فتجنشتاين' (1889-1951)، حدث ذلك أثناء إقامته في 'كيمبردج'، عند تعيينه أستاذاً بعد أن تقاعد 'ج. إ. مور' عام 1939. وقد سبق له أن أصدر كتابه الشهير 'دراسة منطقية فلسفية' (Tractatus logico-philosophicus) عام 1921. وهذا ما يُفسر طبيعة الممارسة الأنجلو-ساكسونية للفلسفة المعاصرة التي تجلت بوضوح في التفاعل بين تيار التجريبية المنطقية والبراغماتية الأمريكية. لقد كان الارتباط واضحاً من خلال مشاركة بعض البراغماتيين الأمريكيين

مثل شارل موريس (Charlrs Morris) وجون ديوي (John Dewey) مع رودولف كارناب (Rudolf Carnap) في تأليف ونشر مشترك 'الموسوعة العالمية للعلوم الموحدة' (International Encyclopedia of Unified Science). (الشهب، ح، 2019، 43).

معلوم أنه من خلال مؤلفه 'رسالة منطقية فلسفية' (Tractatus logico-philosophicus)، حاول 'فيتغنشتاين' حلّ المشكلات الفلسفية الأساسية التي شغلت العلماء في عصره. لذلك كان الكتاب موضوع مناقشات جماعة 'فيينا'، فأنز في أفكارهم وتأثر بانقذاتهم التي دفعت به إلى تعديل مجمل أفكاره فيما بعد.

إذا اعتبرنا بناء على ما سبق، وبحسب وجهة النظر هاته أن كل الإشكالات الفلسفية إنما تنجم عن الاستعمال الفاضل للغة (..) (فهممة التحليل هي أن يبين أن المسائل الفلسفية إنما تنشأ عن إساءة استخدام اللغة). (راسل، ب، 1983، 227)، أي أنه إذا اقتضت الضرورة تبني الفلسفة فيجب أن يتم استخداماً مباشراً صحيحاً، وبالتالي "ينبغي النظر إليها على أنها ضرب من العلاج اللغوي". (راسل، ب، 1983، 227).

يجب إذن استبعاد كل سؤال ميتافيزيقي وذلك بالحفاظ فقط على "أسئلة التحليل المنطقي للعلم، ومجمله، ومطلحاته، ومفاهيمه، ونظرياته، وما إلى ذلك، كأسئلة علمية حقيقية". (CARNAP, R, 2001, 279). لقد بات من الواضح لتحقيق الغرض أن ما يتوجب فعله، هو "فحص خصائص جمل منطقي العلم، وإظهار أنها جمل تكتيكية". (CARNAP, R, 2001, 280) من خلال ذلك، تقتضي وجهة النظر هذه ضرورة وإمكانية "تحليل جميع القضايا إلى مكونات نهائية بسيطة لا تقبل مزيداً من التجزيء". (راسل، ب، 1983، 228). بهذه الطريقة فقط، وبغية تنقية الفلسفة من جميع العناصر غير العلمية، يمكن أن يحل "منطق العلم محلّ المشاكل المتشابكة التي لا تنفصم والتي تُعرف بالفلسفة". (CARNAP, R, 2001, 279).

واضح إذن أن "الشيء الذي تشترك فيه معظم تيارات التحليل اللغوي هو الاعتقاد بأن اللغة العادية كافية، وأن الإشكالات الفلسفية إنما تنشأ عن سوء الاستخدام". (راسل، ب، 1983، 229)، سوء استخدام اللغة طبعاً. لكن من جهة أخرى، فإن "هذا الرأي يتجاهل حقيقة واضحة هي أن اللغة العادية تحدث ببقايا النظريات الفلسفية الغابرة". (راسل، ب، 1983، 229). فهل كان من الممكن إنجاز لغة مثالية تتماشى وطبيعتها ومطلبات الفحص العلمي؟

5. مَشْرُوعُ اللُّغَةِ الْمِثَالِيَّةِ وَنَظَرِيَّةُ أَلْعَابِ اللُّغَةِ:

يَتَحَدَّدُ الْمَعْنَى غَالِبًا، بِالإِضَافَةِ إِلَى الدَّلَالَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ لِلْكَلِمَاتِ، تَحْتَ تَأْثِيرِ طَرِيقَةِ اسْتِخْدَامِنَا لِلُّغَةِ، إِذْ يَبْدُو مِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ أَنَّهُ "لِكَي تَكُونَ جَدِيدًا فِي لُغَةٍ مَا، هُنَاكَ حَاجَةٌ أَكْثَرُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدِ: يَخْتَلِفُ مَعْنَى كَلِمَةٍ وَمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ فِي ظِلِّ ظُرُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ. إِنَّهُ فَنُّ الْحُصُولِ عَلَى التَّأْثِيرِ الْكَامِلِ مِنَ الْكَلِمَاتِ." (NEURARH, O, 1936, 15). كَمَا لَا يَجِبُ الزَّهَانُ عَلَى "مُعَالَجَةِ قَضِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ بِتَبْعِيَّاتٍ اسْتِعَارِيَّةٍ." (أودغن ورتشاردز، 2015، 61). ذَلِكَ لِأَنَّ "تَشْبِيهًا تَسْتَوْعِبُهُ (aufnehmen) أَشْكَالُ لُغَتِنَا، يُحْدِثُ خَطَأً؛ فَيُوقِعُ بِنَا فِي الْجَبَرَةِ. نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا: 'لَكِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ عَلَى هَذَا النُّحْوِ!'" (فتغنشتاين، ل، 2007، 196).

كَمَا أَنَّ افْتِرَاضَ مَبْدَأِ الْوَقَائِعِ الذَّرِيَّةِ مُمَثَّلَةً فِي الْأَسْمَاءِ يُعَدُّ تَبَرُّعًا لِلتَّدْلِيلِ عَلَى وُجُودِ أَسَاسٍ لِلصِّدْقِ عَلَى الْمُسْتَوَى اللُّغَوِيِّ وَعَلَى الْمُسْتَوَى الْأَنْطُولُوجِيِّ (مَوْضُوعَاتٌ بَسِيطَةٌ)، وَبِذَلِكَ يُمَكِّنُ "التَّأَكُّدُ مِنْ صِحَّةِ التَّحْلِيلِ الْفَلَسَفِيِّ لِقَضِيَّةٍ مَا بِالتَّدْرِبِ عَلَى تَحْدِيدِ مَعْنَى كُلِّ لَفْظٍ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُسْتَعْدَمَةِ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنِ الْقَضِيَّةِ." (راسل، ب، 1958، 87). وَسَعِيًّا وَرَاءَ الْبَسَاطَةِ يَجِبُ اتِّبَاعُ "الاسْتِعْمَالِ الْمُتَدَاوِلِ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ رُمُوزَ الْعِلَاقَةِ الْمَاصَدَقِيَّةِ كَمَا لَوْ كَانَتْ أَسْمَاءَ الْمَوَاضِيَعِ." (كارناب، ر، 2011، 186).

اللُّغَةُ الْمِثَالِيَّةُ الْمَطْلُوبَةُ إِذْنِ، هِيَ بِمِثَابَةِ لُغَةٍ، بِحَيْثُ يَجِبُ أَنْ تُشَبِّهَ جَمِيعَ الْأَلْعَابِ، بِخُضُوعِهَا لِقَوَائِنَ دَاخِلِيَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا لِأَنَّ تَضْبِطَ مَجْمُوعَةِ عِلَاقَاتِ عَنَاصِرِهَا، إِذْ "لَيْسَ لِلْقِطْعَةِ اسْمٌ إِلَّا فِي اللَّعْبَةِ." (فتغنشتاين، ل، 2007، 159)، وَتَكُونُ 'اللُّعْبَةُ اللُّغَوِيَّةُ' هِيَ ذَلِكَ 'الْكُلُّ الَّذِي تُكَوِّنُهُ اللُّغَةُ وَالْأَعْمَالُ الَّتِي تَنْضَوِي تَحْتَهَا.' (فتغنشتاين، ل، 2007، 124)، وَسَيُصْبِحُ بِهَذَا الْمَعْنَى 'تَكَلُّمُ لُغَةٍ مَا يُعَدُّ عَمَلًا أَوْ شَكْلَ حَيَاةٍ (Lebensform)'. (فتغنشتاين، ل، 2007، 137). وَإِذَا كَانَ فِي قَوَاعِدِ اللَّعْبَةِ بَعْضُ الْعُمُوضِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهَا 'لَيْسَتْ اللَّعْبَةُ الْمِثَالِيَّةُ.' (فتغنشتاين، ل، 2007، 192). لَكِنْ مَا الَّذِي يَدْفَعُنَا لِلِاعْتِقَادِ جَرَمًا "أَنَّ مَنْ يَنْطِقُ بِجُمْلَةٍ وَيَقْصِدُهَا (meint)، أَوْ يَفْهَمُهَا، يُنْجِزُ عَمَلِيَّةً حِسَابِيَّةً طَبَقَ قَوَاعِدَ مُحَدَّدَةٍ؟" (فتغنشتاين، ل، 2007، 181). وَحَتَّى فِي حَالِ تَحَقُّقِ هَذَا الشَّرْطِ يَبْقَى السُّؤَالُ: "كَيْفَ يَنْبَغِي بِالتَّالِي أَنْ أُحَدِّدَ الْقَاعِدَةَ الَّتِي يُلْعَبُ طَبَقُهَا؟ حَتَّى هُوَ نَفْسُهُ لَا يَعْرِفُهَا. بَلْ: مَاذَا يُمَكِّنُ لِلْعِبَارَةِ: 'الْقَاعِدَةُ الَّتِي يُلْعَبُ طَبَقُهَا' أَنْ تَعْنِي هُنَا؟" (فتغنشتاين، ل، 2007، 182). وَ"كَيْفَ سَتَكُونُ اللَّعْبَةُ الَّتِي تُقَدِّدُهَا الْقَوَاعِدُ تَمَامًا؟ لُغَةٌ تَمْنَعُ مِنْهَا

القَوَاعِدُ كُلُّ لُبْسٍ وَتَسُدُّ كُلَّ مَنَافِذِ الْخَلَلِ. أَلَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ قَاعِدَةً تَتَحَكَّمُ فِي تَطْبِيقِ الْقَوَاعِدِ؟ وَفِي لُبْسٍ تُزِيلُهُ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ وَهَكَذَا؟" (فتغنشتاين، ل، 2007، 182).

أَسْئَلَةٌ كَثِيرَةٌ تَتَنَاسَلُ وَفَقْ قَاعِدَةُ الضَّرُورَةِ الْمُنْطِقِيَّةِ، أَسْئَلَةٌ تَعَكِّسُ مُسْتَوَى الطَّمُوحِ لَدَى زُعَمَاءِ النَّزْعَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ فِي تَحْقِيقِ لُغَةٍ مِثَالِيَّةٍ عَلَى شَاكِلَةِ النَّمْدَجَةِ الَّتِي تُمَيِّزُ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْمُنْطِقَ الرِّيَاضِيَّ بِالْخُصُوصِ، غَيْرَ أَنَّ "الرِّيَاضَةَ تَسْتَخِدِمُ مَعْنَى هُوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ لَيْسَ جُزْءًا مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي تَنْظُرُ فِيهَا، ذَلِكَ هُوَ الصِّدْقُ". (راسل، ب، 1958، 31).

لَقَدْ تَطَوَّرَتِ الرِّيَاضِيَّاتُ مِنْ خِلَالِ جُهودِ الْإِيطَالِيِّ 'بِينُو'، فَكَانَتْ بِمِثَابَةِ تَحْقِيقِ لِحْلُمِ 'لَيْبْنِز' فِي مُحَاوَلَةِ "إِيجَادِ حَلٍّ لِكُلِّ الْمَشْكِلاتِ وَنَهَايَةِ لِكُلِّ الْخِلَافَاتِ". (راسل، ب، 2005، 86)، بَحِثُ يُصْبِحُ إِجْرَاءُ الْحِسَابِ كَفِيلٌ بِفَضِّ أَيِّ نِزَاعٍ. أَيُّ "اخْتِرَالِ الرِّيَاضِيَّاتِ إِلَى أَشْكَالٍ رَمَزِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ لَا تَوْجَدُ فِيهَا كَلِمَاتٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ". (راسل، ب، 2005، 87). هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْارْتِقَاءَ إِلَى اللُّغَةِ الْمِثَالِيَّةِ يُحْتِمُ عَلَيْنَا عَمَلِيَّةَ تَعْوِضِ هَائِلَةٍ وَاسْتِبْدَالِ لَجَمِيعِ مُفْرَدَاتِ اللُّغَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَتَحْوِيلِهَا إِلَى مُجَرَّدِ زُمُوزٍ فَارِغَةٍ. بَلْ حَتَّى فِي حَالَةِ الْكَلِمَاتِ الرُّمُوزِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ تَمَفُّصَلَاتِ الْخِطَابِ الْمَبْنِيِّ مَنْطِقِيًّا، كَمَا هُوَ الشَّانُ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّابِطِ 'أَوْ' مَثَلًا، نَجِدُ أَنْفُسَنَا أَمَامَ تَعَارُضٍ صَارِخٍ مَعَ مَبْدَأِ التَّحْقُّقِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ قَاعِدَةٍ لِلْفَلَسَفَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ.

فِي مَسْأَلَةِ الرُّوَابِطِ الْمُنْطِقِيَّةِ كَرَابِطِ الْانْفِصَالِ أَوْ الْفَصْلِ ('أَوْ') الَّذِي لَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ سَوَى تَعْبِيرٍ لَفْظِيًّا نَاتِجًا عَنْ صُعُوبَةِ اتِّخَاذِ قَرَارٍ بَيْنَ قَوْيَيْنِ مُتَدَافِعَتَيْنِ عَكْسِيًّا بِقُوَّةٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَضَعُ اتِّخَاذَ الْقَرَارِ وَالْحُكْمَ مَوْضِعَ تَرَدُّدٍ، فَيَبْدُو "أَنَّ أَيَّ تَفْسِيرٍ نَفْسِيٍّ صَالِحٍ لِكَلِمَةِ 'أَوْ' يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنْطَبِقًا بِتَكْيِيفٍ مُنَاسِبٍ عَلَى أَيِّ سُلُوكٍ يُظْهِرُ التَّرَدُّدَ". (راسل، ب، 2005، 86)، فَهَهُنَا نَحْنُ أَمَامَ حَالَةِ التَّقَابُلِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا مَبْدَأُ 'الصِّدْقِ' وَالزَّيْفِ، لَكِنَّهَا لَا تَتِيحُ لَنَا تَطْبِيقَ هَذَا الْمَبْدَأِ.

بِأَنَّ نَقُولَ عَنْ جُمْلَةٍ بِأَنَّهَا صَادِقَةٌ، يَعْنِي "أَنَّ الْجُمْلَةَ لَا بُدَّ وَأَنْ تَعْنِي شَيْئًا يُمَكِّنُ مُلَاحَظَتَهُ فِي مُعْطَى إِدْرَاكِ". (راسل، ب، 2005، 76). إِنَّ "كَلِمَتَنَا صَادِقٌ" وَزَائِفٌ... . تَنْطَبِقَانِ فَقَطْ عَلَى الْإِقْرَارَاتِ فِي اللُّغَةِ الْأَوَّلِيَّةِ". (راسل، ب، 2005، 80)، أَي لُغَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَصِفُ حَيْثُ يَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَى خِبْرَةٍ حَسَنَةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ خَيْرَاتٍ. فَ"الْجُمْلَةُ أَوْ الْمُقَدِّمَةُ تَكُونُ صَادِقَةً إِذَا كَانَ لَهَا عِلَاقَةٌ مُعَيَّنَةٌ بِخِبْرَةٍ مَا". (راسل، ب، 2005، 82)، لَكِنْ "لَيْسَتْ كُلُّ الْجُمَلِ فِي اللُّغَةِ الْأَوَّلِيَّةِ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ أَنَّهَا تَصِفُ خِبْرَةً مُفْرَدَةً". (راسل، ب، 2005، 81)، وَمَصْدَرُ الْخَطَا فِي الْحُكْمِ هُنَا لُغَوِيٌّ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ هِيَ مُجَرَّدُ

تَكثِيفٍ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْاسْتِنَاجَاتِ، وَقَدْ يَكُونُ الْاسْتِنَاجُ زَائِفًا لِأَنَّهُ يَفُومُ عَلَى وَصْفٍ عَرَضِيِّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِأَنَّ نَظَرِيَّةَ 'الدَّرِيَّةِ الْمُنْطِقِيَّةِ' زَاهَنَتْ مُنْذُ نَشَأَتِهَا فَطَمَحَتْ إِلَى "وَضْعِ لُغَةٍ كَامِلَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِأَقْصَى قَدَرٍ مُمَكِّنٍ مِنَ الدِّقَّةِ." (راسل، ب، 1983، 228). كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُنْكَرَ 'فَتَغْنَشْتَايْنِ' 'إِمْكَانَ إِيْجَادِ مِثْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ." (راسل، ب، 1983، 228). لِيَبْقَى الْإِنْسَانُ الْعَارِفُ فِي سَعْيِ حَثِيثٍ إِلَى أَنْ يَتَمَكَّنَ الْعَقْلُ مِنْ إِظْهَارِ النَّيِّ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْإِنْتِصَارِ فِي مَعْرَكَةِ التَّحْلِيلِ مِنْ "اسْتِبْدَادِ اللُّغَةِ الْعَظِيمِ." (أودغن ورتشاردز، 2015، 61).

خَاتِمَةٌ وَمُنَاقَشَةٌ:

جَلِيَّ أَنْ تَبَارَ الْوَضْعِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ هُوَ مُحَازَبَةٌ لِلْفَلَسَفَةِ، الَّتِي لَمْ يَعُدْ لَهَا مِنْ قِيَمَةٍ أَوْ دَوْرٍ يُذَكِّرُ فِي عَصْرِ الْعِلْمِ، اللَّهْمُ إِلَّا أَنْ تَتَحَوَّلَ الْفَلَسَفَةُ بِدَوْرِهَا إِلَى عِلْمٍ. غَيْرَ أَنَّ الطُّمُوحَ إِلَى فِلْسَفَةٍ عِلْمِيَّةٍ هُوَ بِمَثَابَةِ تَدْشِينٍ لِعَصْرِ جَدِيدٍ بِالنَّسَبَةِ لِلْفَلَسَفَةِ. فَبَعْدَ كُلِّ تِلْكَ الْجُهُودِ، هَلْ يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ بِأَنَّنا وَصَلْنَا مَعَ الْوَضْعِيَّةِ إِلَى السُّلُوكِ الْعِلْمِيِّ فِي الْفَلَسَفَةِ؟

ثَمَّةُ مَا خِذْ لَا يُمْكِنُ إِغْفَالُهَا، فَالْوَاضِحُ أَنَّ بَعْضَ الْمُبَادِئِ الَّتِي ارْتَكَزَتْ عَلَيْهَا النَّزْعَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ، بِمَا فِي ذَلِكَ التِّيَّارَاتِ الْمُتَشَعِّبَةِ عَنِ الْمَذْهَبِ الْوَضْعِيِّ، تُشَكِّلُ أَلْغَاظًا يَصْعُبُ حَلُّهَا بِاسْتِمْرَارٍ مُسَاءَلِنَا لَهَا عَنْ طَبِيعَةِ صِحَّتِهَا، لَكِنَّمَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَحْوِي فِي ذَاتِهَا بَرَاءَةَ الصِّحَّةِ حِينَ تُقَدِّمُ نَفْسَهَا كَبَدِيعِيَّاتٍ لَا تَحْتَاجُ حُجَّةً وَلَا بُرْهَانًا، فَبَيَّ بِالنَّالِي لَا تَقْبَلُ التَّعَامُلَ مَعَهَا كَقَضَايَا تَخْضَعُ لِقَاعِدَةِ الصِّدْقِ وَالرِّفِّ، مِثْلُ ذَلِكَ مَبْدَأُ الْعِلِيَّةِ.

إِنَّ مَبْدَأَ 'الْعِلِيَّةِ' يُقَدِّمُ نَفْسَهُ كَمَبْدَأٍ لِكُلِّ تَفْسِيرٍ عِلْمِيٍّ بِالْمَعْنَى الْوَضْعِيِّ. لَكِنَّهُ مَبْدَأٌ يَصْعُبُ التَّحَقُّقُ مِنْهُ وَجُودِيًّا، فَهُوَ يَحْجُبُ نَفْسَهُ. إِنَّهُ إِثْبَاتٌ دُونَ دَلِيلٍ أَوْ سَنَدٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَأَسَّسَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ الْوَاقِعِيِّ. يَعْنِي أَنَّ مَبْدَأَ الْعِلَّةِ هُوَ الْمَبْدَأُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَبْقَى خَارِجَ تَطْبِيقَاتِهِ: أَيُّ أَنَّ مَبْدَأَ الْعِلَّةِ يَبْقَى دُونَ عِلَّةٍ تُبَرِّرُ وَجُودَهُ وَتُفَسِّرُهُ. فَكَمْ هِيَ "غَرِيبَةُ وَضْعِيَّةُ هَذَا الْمَبْدَأِ وَالْأَصْلِ الَّذِي يَتَأَسَّسُ عَلَيْهِ وَغَرِيبَةُ وَضْعِيَّتُهُ بِوَصْفِهِ قَاعِدَةً وَقَضِيَّةً أَصْلِيَّةً، خَاصَّةً أَنَّ فِكْرَةَ السَّبَبِيَّةِ تُعْتَبَرُ شَرْطًا مُسَبِّقًا لِلْعَمَلِ الْعِلْمِيِّ. وَهِيَ لَيْسَتْ نَتِيجَةً بَحْثٍ، وَإِنَّمَا هِيَ افْتِرَاضٌ مُسَبِّقٌ يَسْتَحِيلُ دُونَهُ السَّيْرُ فِي طَرِيقِ الْبَحْثِ.

بَيْنَمَا عَمِلَتِ الْوَضْعِيَّةُ عَلَى مُحَازَبَةِ الْمِيتَافِيزِيْقَا الَّتِي تَتَسَرَّبُ إِلَى الْعِلْمِ عَنْ طَرِيقِ أَسَالِيبِ الْفَلَسَفَةِ، فَقَدْ وَقَعَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ فِي مُشْكِلاتٍ مِيتَافِيزِيْقِيَّةٍ، مُشْكِلاتٍ

فَرَضَتْهَا طَبِيعَةُ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى فُرُوضٍ مُسَبَّقَةٍ مُعَيَّنَةٍ. إِنَّ الْمَذْهَبَ الْوَضْعِيَّ يَهَذَا الْمَعْنَى يُوجِبُهُ صُعُوبَةُ تَكْمُنٍ فِي رَفْضِ كُلِّ تَأْمُلٍ فِلْسَفِيٍّ بِوَصْفِهِ لَغَوًّا. وَمَصْدَرُ الصُّعُوبَةِ هُوَ أَنَّ نَظْرِيَّةَ التَّحْقِيقِ هِيَ ذَاتُهَا نَظْرِيَّةٌ فِلْسَفِيَّةٌ.

هَكَذَا تَوَرَّطَ الْجَمِيعُ، مُنْذُ 'أَرِسْطُو'، مَعَ 'أَرِسْطُو'، فِي عَدَمِ مُسَاءَلَتِهِ عَنِ الْمَعْيَارِ الَّذِي يُمَكِّنُ مِنْ خِلَالِهِ تَمْيِيزُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا بِالْبُرْهَانِ عَنِ تِلْكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى بُرْهَانٍ، أَيْ بَدَاهَةُ الْمَبَادِئِ الْأُولَى الَّتِي يَسْتَنْدُ إِلَيْهَا الْفِكْرُ وَيَسْتَكِينُ، فَنَحْنُ الْيَوْمَ، بَعْدَ مُضِيِّ ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ قَرْنًا، لَفِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ مَلَكَةِ التَّمْيِيزِ تِلْكَ. هَذَا إِضَافَةً إِلَى التَّبَاسِ اللَّغَةِ بِالْوُجُودِ، أَوْ حَيْثُ تُعَوِّضُ كَلِمَاتُ اللَّغَةِ الْأَشْيَاءَ وَحَقَائِقُ الْوُجُودِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ لُغَةَ الْكَلَامِ تَبِيحُ تَرْكِيبَاتِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا أَحْيَانًا.

كَمَا يَبْدُو أَنَّ نَظْرِيَّةَ الْمَعْرِفَةِ تُعَانِي مِنْ مُشْكَلَاتٍ أُخْرَى نَاتِجَةً عَنِ التَّبَاسِ الْوُجُودِ بِحَالَةِ الشُّعُورِ، أَيْ الْوُجُودِ بِوَصْفِهِ مُتَضَامِنًا مَعَ الشُّعُورِ، بِوَصْفِهِ شَيْئًا 'مَقْصُودًا'، وَبِالْتَّالِي فَإِنَّ الْبَحْثَ لَا بُدَّ أَنْ يُوجَّهَ صَوْبَ مَعْرِفَةِ مَا هِيَ الشُّعُورُ، وَهُوَ مُشْكَلٌ آخَرٌ يُحْدُثُ مِنْ إِدْعَاءَاتِ الْفِلْسَفَاتِ الْوَضْعِيَّةِ الَّتِي تَرْفُضُ الْبَحْثَ فِي الْجَوَاهِرِ وَالْمَاهِيَاتِ.

لَكِنْ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ، فَيَقْدِرُ مَا كَانَ الْمُنْعَطَفُ اللَّغَوِيُّ تَعْيِيرًا عَنْ أَرْزَمَةِ اسْتِمْرَارِ الْفِلْسَفَةِ بِالْمَعْنَى التَّقْلِيدِيَّةِ فِي زَمَنِ الْوَضْعِيَّةِ وَمَا بَعْدَهَا، بِقَدْرِ مَا أَفْرَزَتْ هَذِهِ الْأَرْزَمَةُ فِلْسَفَاتٍ وَاتِّجَاهَاتٍ فِكْرِيَّةً كَانَتْ بِمَنَابَةِ مَخَارِجَ عَدِيدَةٍ وَفُتُوحَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ ظَلَّتْ طَوَالَ تَارِيخِ الْفِلْسَفَةِ مُهْمَشَةً أَوْ فِي الْهَامِشِ. إِنَّ اسْتِغَالَ الْفِلْسَفَةِ عَلَى مَا ظَلَّ مُهْمَشًا لَيْسَ مُجَرَّدَ اسْتِهْلَاكِ لِمَوَاضِيَعٍ كَانَتْ غَيْرَ ذَاتِ قِيَمَةٍ وَأَهْمِيَّةٍ، بَلْ هِيَ رَهَانَاتٌ جَدِيدَةٌ أَتَاحَهَا الْمُنْعَطَفُ اللَّغَوِيُّ فَأَضَاءَتْ مَنَاطِقَ الظِّلِّ الَّتِي تَرَسَّبَتْ فِي طَبَقَاتِهَا الْحَقِيقَةُ بُوْعِي أَوْ بِمُجَرَّدِ نِسْيَانٍ أَنْطُولُوجِي..

قائمة المراجع:

- CARNAP, R. (2001). LOGICAL SYNTAX OF LANGUAGE. (T. & Group, Ed., & A. S. Zepplin), -
Trans.) London, Great Britain: Routledge.
- Godehard Link. (1998). Algebraic semantics in language and philosophy. CENTER FOR THE STUDY -
OF LANGUAGE AND INFORMATION (Leland Stanford Junior University)(74).
- MACH, E. (1914). THE ANALYSIS OF SENSATIONS AND THE RELATION OF THE PHYSICAL -
TO THE PSYCHICAL (FIFTH GERMAN EDITION ed.). (C. M. WILLIAMS, Trans.) CHICAGO AND
LONDON: THE OPEN COURT PUBLISHING COMPANY.
- NEURARH, O. (1936). INTERNATIONAL PICTURE LANGUAGE; THE FIRST RULS OF ISOTYPE. -
LONDON, GREAT BRITAIN: PSYCHE MINIATURES.

- Wittgenstein, L. (2002). Tractatus Logico-Philosophicus. (T. & e-Library, Ed., D. Pears, & B. McGuinness, Trans.) London and New York: Routledge Classics.
- أبو نصر الفارابي. (1976). العبارة؛ كتاب في المنطق. (الهيئة المصرية العامة للكتاب، المحرر) جمهورية مصر العربية: مطبعة دار الكتب.
- أبو نصر الفارابي. (2002). الألفاظ المستعملة في المنطق (الإصدار الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: دار المشرق.
- أبو نصر الفارابي. (بلا تاريخ). إحصاء العلوم. بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.
- إدموند هسرل. (2002). الفلسفة علماً دقيقاً (الإصدار الطبعة الأولى). (المجلس الأعلى للثقافة، المحرر، ورجب محمود، المترجمون) القاهرة، جمهورية مصر العربية: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
- أفلاطون. (1995). محاوره كراتيلوس (الإصدار الطبعة الأولى). (طه السيد أحمد عزمي، المترجمون) عمان، المملكة الأردنية الهاشمية: مطابع الدستور التجارية، منشورات وزارة الثقافة.
- أودغز، ورتشاردز. (2015). معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية) (الإصدار الطبعة الأولى). (أحمد حازم يحيى كيان، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- برتراند راسل. (1958). أصول الرياضيات. (أحمد محمد مرسي، والأهواني أحمد فؤاد، المترجمون) جمهورية مصر العربية: دار المعارف.
- برتراند راسل. (1977). تاريخ الفلسفة الغربية: الفلسفة الحديثة. (محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) جمهورية مصر العربية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- برتراند راسل. (1983). حكمة الغرب: الفلسفة الحديثة والمعاصرة (المجلد الثاني). (سلسلة عالم المعرفة، المحرر، وفؤاد زكريا، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- برتراند راسل. (2005). عبادة الإنسان الحر. (محمد قدري عجارة، المترجمون) القاهرة، جمهورية مصر العربية: المجلس الأعلى للثقافة.
- برتراند راسل. (2005). ما وراء المعنى والحقيقة (الإصدار الطبعة الأولى). (قدري عجارة محمد، المترجمون) القاهرة، جمهورية مصر العربية: المجلس الأعلى للثقافة.
- برتراند راسل. (2016). مشكلات الفلسفة (الإصدار الطبعة الأولى). (سمير عبده، المترجمون) دمشق، سوريا: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- حميد لشهب. (2019). دائرة فيينا: الوضعية المنطقية نشأتها وأسسها المعرفية التي قامت عليها (الإصدار الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- رودولف كارناب. (2011). البناء المنطقي للعالم والمسائل الزائفة في الفلسفة (الإصدار الطبعة الأولى). (المنظمة العربية للترجمة، المحرر، ويوسف تيبس، المترجمون) بيروت، لبنان.
- روي هاريس. (2019). سويسر وفنتجشتاين؛ فلسفة اللغة ولعب الكلمات (الإصدار الطبعة الأولى). (فلاح رحم، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الرافدين بيروت.
- فيليب فرانك. (2010). بين الفيزياء والفلسفة (الإصدار الطبعة الأولى). (محمد العبد مهندس، وعطا السيد، المترجمون) القاهرة، جمهورية مصر العربية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- لودفيغ فنتجشتاين. (2007). تحقيقات فلسفية (الإصدار الطبعة الأولى). (عبد الرزاق بنور، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- مارتين هايدغر. (بلا تاريخ). مبدأ العلة. (جاهل نظير، المترجمون) الإسكندرية، جمهورية مصر العربية: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- محمد علي ماهر عبد القادر. (1994). خرافة الوضعية المنطقية. الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.
- نفاذ السيد. (1991). معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية. الإسكندرية، جمهورية مصر العربية: دار المعرفة الجامعية.
- هانز ريشنباخ. (2020). نشأة الفلسفة العلمية. (فؤاد زكريا، المترجمون) المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي.